ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:10، العدد: 02(2025) ص: 16 - 27

تمثلات الواقع والمتخيل في رواية إيزابيل لسليم بتقة

Representations of reality and the imaginary in the Novel (Isabelle)by slim batka

نصري هاجر*

المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة(الجزائر)

Nasri.hadjer@ens-bousaada.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/10/08
تاريخ القبول:
2025/12/02
تاريخ النشر:
2025/12/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **الواقع والتاريخ**
- ✓ **المتخيل السردي**
- ✓ **السيرة الذاتية**

الملخص:

استطاعت الرواية أن تشكل مادة جمالية خام من خلال العلاقة القائمة بين الواقع والمتخيل؛ إذ تستقي مادتها من الواقع ثم تُعيد تشكيله في صورة متخيل روائي. وتعتمد على الجانب التاريخي الذي يُعدّ أساسا لهذا الواقع، حيث يجد الروائي نفسه قد تجاوز الواقع المعاش، معبرًا عنه بصدق، لينقله إلى فضاء تخييلي يُحلق فيه المتلقي إلى عالم آخرمن خلال اللغة - التي تعد الأداة الأساسية في الابداع-يوظف الكاتب خياله ليُنتج صورا جديدة يُعبر من خلالها عن أعماق النفس البشرية، راسما ملامحها، وأحزانها، وأفراحها. إن هذه الثنائية بين الواقع والمتخيل دفعت العديد من الباحثين إلى التساؤل عن الجمالية التي تربط بينهما، ومن هذا المنطلق سنسعى في هذه الدراسة إلى الكشف عن تمثلات هذه العلاقة في رواية "ايزابيل" للكاتب "سليم بتقة" التي اخترناها كأنموذج في الدراسة من خلال تحليل مدى قدرة الروائي على تحويل الواقع إلى متخيل سردي، واستكشاف أبعاد السرد المتخيل والسيرة الذاتية للبطلة. كما سنسعى إلى استخلاص العناصر المكونة للعالم الروائي من أمكنة وأزمنة وشخصيات، والتمييز بين ماهو واقعي وماهو متخيل داخل النص.

Article info

Received
08/10/2025
Accepted
02/12/2025
Published
21/12/2025

Keywords:
- ✓ *Reality and history*
- ✓ *narrative imagination*
- ✓ *autobiography*

Abstract :

The novel succeeded in shaping a raw aesthetic material through the relationship between reality and imagination. It draws its substance from reality and then reshapes it into a fictional form. It relies on the historical dimension, which constitutes the foundation of this reality, where the novelist finds himself transcending lived reality, expressing it with sincerity and transferring it into an imaginative space in which the reader soars into another world. Through language – the primary tool of creativity- the writer employs imagination to produce new images that convey the depths of the human soul, portraying its features, sorrows, and joys.This duality between reality and imagination has prompted many researchers to question the aesthetics that bind them together. From this standpoint, we aim in this study to explore the representations of this relationship in the novel Isabelle by Salim Batka, by analyzing the novelist's ability to transform reality into narrative imagination, and by examining the dimensions of fictional narration and the protagonist's autobiography.We will also seek to identify the elements that constitute the fictional world-places, times, and characters- and to distinguish between what it real and what is imagined within the text

*الأستاذة: هاجر نصري

1. مقدمة

الرواية كتابة الحياة فهي ليست مجرد سرد، بل هي شكل من أشكال كتابة الحياة، بما تحمله هذه الحياة من محطات متغيرة، لكل منها خصوصيتها ومتطلباتها التي تنسجم مع طبيعة محيطها وزمانها. ومع تغير هذه المحطات، تتبدل أيضًا وسائل التعبير وأشكال الكتابة. فعندما يشرع الكاتب في إنجاز عمل فني، يجد نفسه في مواجهة عالم يتشكل من مكوناته الذاتية، يحمل بصمات فكره، ويعكس مواقفه، مانحًا العمل خصوصية فنية تضمن له هويته ومرجعيته الإبداعية .ورغم اختلاف المواضيع والأساليب، وتباين المادة الحكائية والمضامين الفكرية، تظل "الخصوصية" سمة مرافقة لكل عمل أدبي، تنبع من خلفية واقعية تُدوَّن على صفحات النص، حيث يمتزج التاريخ بالسرد، لتنشأ علاقة تفاعلية بين الرواية والتاريخ. وهذا الامتزاج لا يُنتج سردًا توثيقيًا جامدًا، بل يُسقط التاريخ في مخاض التجربة الروائية، ما يطرح إشكالية التوافق بين الرواية بوصفها نتاجًا جماليًا تخييليًا، وبين التاريخ الذي يُنظر إليه غالبًا على أنه مادة صلبة، غير قابلة للتخييل، قائمة على وقائع ثابتة لا تُمحى ولا تُنسى .وفي هذا السياق، تسعى الرواية الجزائرية الحديثة بشكل خاص إلى تجاوز النماذج التقليدية، نتيجة التحولات التي عرفها المشهد الأدبي، سواء على مستوى المواضيع أو الأساليب أو الأشكال الفنية. فهي تُعد من أكثر الأجناس الأدبية قدرة على استيعاب الواقع وتحولاته، بما تحمله من طاقة تعبيرية تجسّد أفكار الإنسان ورغباته ومشاعره في صراعه مع الواقع والمتخيل .ورغم أن الرواية تنطلق من واقعٍ معاش، إلا أن هذا الواقع يُعاد بناؤه عبر خيال الكاتب، الذي يمتلك حرية مطلقة في ابتكار الشخصيات، وتوزيع الأدوار، وترتيب الأحداث، مما يجعل من "المتخيل" بنية أساسية في تشكيل "واقع الرواية".

تُعد ثنائية الواقع والمتخيل من أبرز الثنائيات التي يعتمد عليها الروائي في معالجته لقضايا الإنسان والمجتمع، حيث يستثمرها لتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تعيشها البلاد، ولكن ضمن قالب فني نثري يغلب عليه الطابع التخييلي. وتُعتبر هذه الثنائية من المداخل التجريبية الحديثة التي خاضها العديد من الروائيين، ومن بينهم الكاتب الجزائري سليم بتقة، الذي انطلق من فن الرحلة ليسرد لنا حكاية إيزابيل، جامعًا بين المعطى الواقعي وما أبدع فيه من خيال .وهنا يبرز التساؤل: كيف وأين تجسدت ثنائية الواقع والمتخيل في رواية إيزابيل؟ وهل نجح الروائي في تحقيق الانسجام بين هذين البعدين؟ لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج السردي، مستعينين بآليات الوصف والتحليل، سعيًا إلى استخلاص نتائج دقيقة وواضحة، تنطلق من فرضية أساسية مفادها أن رواية إيزابيل هي نص يمزج بمهارة بين التاريخ والواقع، ويقدّمهما من خلال رؤية تخييلية مبتكرة تعكس حسًّا فنيًا عاليًا لدى الكاتب.

2.علاقة الواقع بالمتخيل:

1.2 بين الواقع والتاريخ والمتخيل:

يتداخل الواقع مع المتخيل كون الواقع حياةٌ يعيشها الروائي؛ في حين أن المتخيل حياة فردية وخاصة يصطنعها لذاته ففي"**التخيّل نبتعد عن الواقع كما هو عليه**" (ادريس الكريوي، 2014، بلاغة السرد في الرواية العربية، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، ص91)، فالروائي يستلهم الخيال لينشط به ذاكرته وفكره الإبداعي، وأحيانا يتفوق الخيال عن الواقع كون الكاتب يحسن المزج والتفنن في لعب أدوار الشخصيات الواقعية.

إن الاشتغال على تحويل المدلول الظاهري والاعتباطي إلى مدلول رمزي عميق، يمثل انتقالًا من المكاشفة المباشرة إلى البعد الإيحائي الخفي، حيث يغدو المعنى متواريًا خلف دلالات رمزية تُفعّل الباطن وتكثّف من إيقاع الفعل الكتابي. هذا التوظيف الرمزي يُفضي إلى بناء سردي متداخل وغير تقليدي، يُعدّ بمثابة المفتاح لفهم حدث معين، سواء وقع في لحظة ماضية أو آنية، عبر كشفه من زوايا غير مألوفة تُضفي عليه عمقًا وتأويلاً جديدًا خاصة وأن البعض " **يرى أن الكتابة الإبداعية مرهون بالواقع ومنفعلة به وهذا يقضي إلى أن العلاقة بين الإبداع والواقع أمر حتمي**" (فائزة داوود، 2014، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، ط1، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا، ص 120.)، إذ تناولت الرواية بمنظورها الحداثي بنياتها الداخلية، محاولة الكشف عن الدور الذي تؤديه من خلال مضمونها وطريقة تقديم هذا المضمون عبر أسلوب الكتابة. وبهذا المعنى، تمثل الحداثة ثورة فكرية ورؤية شاملة تتجاوز كونها مجرد تقسيم زمني محدد، إذ تشمل مراجعة جذرية للمنظومة المفاهيمية والمعرفية، وما يشكل صورة العالم في وعي الإنسان. وهذا ما يعرف بالميتاخييل(التخييل الشارح) أومايعرف ب (التخييل الذاتي) الذي يمكن تعريفه أنه نقطة التماس يخلقها الكاتب والتي تعطي ذلك الواقع الجديد بينه وبين ما يكتبه " **حيث يتم مزج الحياة الحقيقية بالمتخيل، فلا المسرود حقيقي كما ينبغي أن تكون الحقيقة ولا هو خيالي صرف كما ينبغي أن تكون الوقائع**"(منيب مسعد ،2010، التخييل والتاريخ في أدب واسيني الأعرج، مجلة الرياض، العدد5، ص 13).فعند تقدير قيمة نفعية على مدى فاعلية الجودة في العمل الروائي بمقياس إبداعي إنما يكون منطلقه إظهار التحليلات، والآليات الاشتغالية الجديدة المنبعثة في تكوين عناصر الحكي الروائي المنطلق من منظور رؤيوي يحدد النظرة الخاصة للمبدع.

وهنا يمكننا القول أن استحضار تقنية اشتغالية ما من قبل الروائي إنما هو ترجمة لفعل كتابي يريد به الكاتب الوصول إلى غرض سردي للفعل الكتابي، يرجو من ورائه تفعيل وتيرة الإنتاج الفني وتصعيدها للتعبير عن الواقع/ والمجتمع/ الذات في ثوب جمالي إذ " **البعض يرى أن الكتابة الإبداعية مرهونة دائما بالواقع ومنفعلة به، وهذا يقضي إلى أن العلاقة بين الإبداع والواقع أمر حتمي**"(فائزة داود، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، ص 120).حيث يعمل الكاتب على الممكنات الحية التي كتبت الواقع وعايشها الإنسان، يعيد تشكيلها وصياغة فعلها من جديد ويحولها لفعل سردي يتعايش قراءة في غير مكان، وعلى لسان شخوص مختلفة، فينتقل الحدث من مكانه الواقعي الذي نتج منه إلى إعادة تمثيله كنص روائي مسلوب من الواقع فيخلق " **خطاب تهيمن عليه كلمات موسومة بسمة بيئتها وترد على لسان المؤلف، أو الراوي أو الشخصية، وكثيرا ما يفهم من بعض الكلمات أو التراكيب إحالتها إلى البيئة التي منها جاءت والتي يكثر استخدامها فيها، وهذا ما يسمى" بأيبي (Bailly) الأثر الحاصل من استدعاء بيئة ما**"(يونس أحمد، التاريخ والرواية، مجلة التدوين، العدد3، 2012، ص 39). فالعوالم الروائية هي نفسها التي تقودنا إلى هذه المشابهة، لا مشابهة شخصية روائية بشخصية اجتماعية حقيقية، أو مشابهة حدث روائي بحدث اجتماعي حصل فعلا، بل إن الذي يتشابه هو دلالة جوهر الشخصية الروائية ونموذجها، أو دلالة جوهر الحدث الروائي، ومضمونه مع جوهر الراهن والواقع والشخصية الاجتماعية (محمد كامل الخطيب، 1981، الرواية والواقع، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص 16).

إذ أن " **الأدب بوصفه جزءا من المذهب الفكري تعبير عن رؤية الكاتب لا حوله، تتصل كرؤية الحقيقة، وهذه الحقيقة ليست في طبيعتها الفردية بل تعبر عن رؤية اجتماعية، تجعل طريقة التفكير لطائفة من الناس تفرض نفسها على الكاتب، مما يدمج**

الحقيقة بالخيال في النص السيري أي بطريقة مباشرة للأحداث إظهار الذات أو إظهارها في الواقع المتخيل، فتكون المرجعية الواقعية للنص هي الفائت(الماضي) والمرجعية التخييرية هي الراهن"(سليمان حسين، 1997، الطريق إلى النص، مقالات في الرواية العربية، دط، اتحاد كتاب العرب، ص 18).

فالتخييل لا ينفصل عن الفعل الكتابي بوصفه ترجمة للواقع وتمثيلاً لإحداثياته، بل على العكس، إذ تظل الرواية في جوهرها أعمق الفنون الأدبية وأوسعها، لأن بنيتها الفنية تستوعب الأساليب الشعرية والقصصية والدرامية، وتضيف إليها قدرة خاصة على تصوير المجتمع.وبالتالي الحديث عن " **واقعية تسجيلية أو توثيقية لا يعني أن النص يخلو من الحوادث التخييلية التي ترمي إلى الإدهاش بالخيال**"(سليمان حسين، الطريق إلى النص، مقالات في الرواية العربية، ص 19) فهي التفاعل الحي الذي يسير مع التغيرات فالأدب بتقسيماته، وأنواعه، يرتبط جدليا مع الواقع بكل إفرازاته، فالأدب والواقع والإنسان ثالوث تربطهم علاقة جدلية تقوم على التأثير والتأثر(أنظر: لوسيان جولدمان، 1993، مقدمات في سوسيولجية الرواية، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار، سوريا، ص 232)باعتبار أن الكتابة هي تعبير للواقع لا نقله، والإضافة عليه بما يتفاعل ومقتضى حال زمن الكتابة، ومقتضى الانفعالات ودفقتها لدى الذات كونها سرد شخصي " **تفصح عن روح الرفض السائدة التي حاولت أن تزيح عن طريقها كافة الأشكال التي تعيق حركته فاجتمعت وفقا لذلك، مناهج وطرائق مختلفة في الكتابة**"(محمد كشك، 1988، علامات التحديث في القصة المصرية القصيرة، دط، الموسوعة الصغيرة، بغداد، ص 32) والتي بدورها لا تهدف للإعلام ولكنها اختراع دائم ومستمر للعالم والإنسان، عزيز سلامة، الخطاب الروائي والايديولوجيا، مجلة الأنبار، العدد 6، ص 21. كون جوهر الرواية ممثل في رؤية العالم الواقعي الذي لا يتحقق إلا إذا " **أعطينا للخيال قسطه أدركنا أن الخيالي موجود في الواقع، ولا نستطيع أن نرى الواقع إلا من خلاله، فالوصف الذي لا يأخذ بعين الاعتبار حلمنا لا يمكن أن يكون إلا حلما**"(دليلة عماري، 2022، روايات واسيني الأعرج التاريخ الذي ترويه المحكيات، مجلة الفنك، العدد11، ص 8-9)

يُعدّ المجتمع مرجعاً أساسياً في الخطاب الروائي، إذ يصبح الأدب بمجرد أن يبدعه الكاتب كائناً اجتماعياً يتفاعل مع المجتمع فيؤثر فيه ويتأثر به. فالأدب ينشغل بالواقع ويتطور بتطوره، ولأن الواقع متجدد على الدوام، فإن الأدب يكتسب استمراريته من استمرارية هذا الواقع، ولعل الرواية لها " **اسهامها الخاص الذي يقرن عادة بتطورها كشكل أدبي يهدف إلى وصف الحياة وصفا واقعيا ومن المفروض تقليديا بالروائي أن يكون مهتما بما هو واقعي، الأسطورة أو الرمزية فإنه يوظف مثل المحسنات ليوسع من فهمها للعالم**" (سليمان حسن، 1999، مضمرات النص والخطاب، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، ص73) هنا يجد الروائي نفسه متجاوزاً الواقع الذي عبّر عنه بصدق، لينتقل إلى فضاء الخيال وينقل القارئ إلى عالم آخر. ويمكن القول مبدئياً إن الأدب نشأ بوظيفة اجتماعية، فلا يمكن أن يكون فردياً محضاً أو خالياً من العوالم التي تتيح الحلم الإبداعي، إذ إن الواقعية في جوهرها فعل تخييلي يحقق تأثيره من خلال إيهام القارئ بالواقع وإقناعه بالتأمل في شؤون الحياة. وهذا يعني أن الأدب، على الرغم من امتلاء خطابه الروائي بعناصر الخيال، يظل يحمل في طياته قدراً من الواقعي، ظاهراً كان أم مضمراً، لأن النص الروائي – والأدب عامة – ينطلق من قاعدة واقعية هي المجتمع الذي يعيش فيه الأديب، حتى إن الخيال ذاته يتقاطع مع الواقع في التعبير عن أفكاره.

لا شك أن المتخيل يشتغل بآليات مختلفة تتحكم فيها الظروف السوسيو-ثقافية، وإذا أصبح من البديهي القول أن الفعل التخييلي يتجاوز الواقع، فيكون من المنطقي أيضا أن نحكم بانتقاء المتخيل في رواية تجعل من الواقع موضوعا لها، لأننا في كل الحالات أمام إعادة انتاج للواقع المحسوس بواسطة اللغة. (آمنة بلعلى، 2006، المتخيل في الرواية الجزائرية من التماثل إلى المختلف دار الامل للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، ص51) وكل ذلك يشير إلى أن الرواية التخيلية تستمد موضوعها من الواقع، وتوظف اللغة كأداة لإعادة تشكيل هذا الواقع ومنحه بعداً تخيلياً. وفي أحيان كثيرة يصوغ المبدع خطابه الروائي على هيئة تساؤلات تدور حول موضوع أو شخصية معينة، فيخيّل للقارئ أنه أمام محض خيال، بينما هو في الحقيقة انعكاس لواقع صاغه الكاتب في ذهنه وأسقطه على نصه.

2.2 تمثلات الواقع والمتخيل في الرواية

تُعرَف الرواية منذ نشأتها، على اختلاف اتجاهاتها وموضوعاتها ومجالاتها، بأنها بناء سردي يقوم على عناصر أساسية هي: الزمان، والمكان، والشخصية، والحدث. وهذه العناصر ظلّت مكوّنات ثابتة في كلٍّ من الرواية التقليدية والحديثة، غير أن الاختلاف يكمن في الطريقة التي تعاملت بها الرواية الحديثة والمعاصرة مع هذه البنى؛ إذ سعت إلى كسر رتابتها وإعادة توظيفها، فجعلت من الزمان والمكان شخصيات فاعلة، وأصبح الزمن يؤثر في الحدث ويتقاطع معه، كما انبثقت ثنائية الواقع والمتخيل لتنتج زمناً واقعياً وآخر متخيلاً، وشخصيات واقعية وأخرى متخيلة، وكذلك الأمر بالنسبة للمكان والحدث .وينطرح هنا السؤال: كيف تجسّد هذا في رواية "إيزابيل"؟ لسليم بتقة، يتجلّى هذا التداخل من خلال مزج فنّي عميق بين السيرة التاريخية والخيال الروائي، ما أتاح إنتاج رؤية مركّبة متعدّدة الأبعاد، وأضفى على الرواية عمقاً دلالياً وجمالياً. فقد استثمر الكاتب شخصية إيزابيل إيبرهارت –التي شكّلت عنوان العمل– بوصفها مادة سردية قابلة لإعادة البناء، ليعيد تشكيل حياتها ضمن إطار أدبي جديد يراوح بين الحقيقة والتخييل.

أ.توظيف السيرة الذاتية:

ومن البديهي في الحديث عن أي حدث تاريخي ما وجب الإحاطة بكل ما يتعالق معه في نبذة حتى يصبح الحدث لحظة التكلم عنه شفافا واضح المعالم خاصة وأنه أمر واقعي وبالتالي فالمعطيات المتعلقة بالنسب والمكان ولحظات الزمان ما هي إلا تقاسيم موضحة لهذا الحدث. (فيصل رياض الأحمد، 12/10/ 2009، كتابة التاريخ روائيا، مجلة القلم، العدد7، ص 44).

الرواية تنطلق من شخصية حقيقية هي إيزابيل، الصحفية والمستشرقة التي عاشت في الجزائر في بداية القرن العشرين، وتوفيت في عين الصفراء سنة 1904 ."**تعد ايزابيل ايبرهارت (1877–1905) واحدة من الشخصيات الأدبية المثيرة في تاريخ الأدب الفرنسي والعالمي، وقد تركت بصمة كبيرة رغم حياتها القصيرة. وُلدت في جنيف بسويسرا في 17 فبراير 1877، وكانت تنتمي إلى عائلة فكرية ونخبوية، ولكنها اختارت مسارا غير تقليدي في حياتها. من خلال مغامراتها الكتابية والشخصية، أصبحت إيبرهارت رمزا للبحث عن الهوية، الحرية، والروحانية، فضلا عن كونها واحدة من أولى النساء اللواتي دخلن إلى أعماق الصحراء الجزائرية واستكشفن حياة البدو**" (بلعرج بوداود، 2021، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهارت، لقاء أم مصير، منشورات الوطن اليوم، سطيف-الجزائر، ص52-53)تنطلق المرجعية الواقعية في الرواية من شخصية حقيقية هي "إيزابيل"، التي زارت الجزائر في أواخر القرن التاسع عشر، وطافت بمناطقها متنكرة، مندمجة بثقافتها وشعبها. كما أقامت في الجنوب الجزائري، وتفاعلت مع الطرق الصوفية، وتزوجت من

جزائري. هذا الجانب يجسد البعد التاريخي القائم على مراجع ووقائع موثوقة ولكن السيرة الذاتية في رواية ايزابيل جاءت بشكل متخف غير مصرح به، وكأن البطلة تسللت خلف ستار الرواية لتكتب عن نفسها؛ فتتخذ من السرد محطة تعبر فيها عن ماضيها وطفولتها فتقول:" **لقد تربيت على يد رجل ملحدٍ، متشبع بالفلسفات والأفكار التحررية، فقد كان تلميذا لباكونين فتعلمت ركوب الخيل، والمصارعة، والجري... كما تعلمت عدة لغات، وهذه التعاليم تنسجم مع التوجهات التحررية... فقد عشت في مجتمع هامشي صغير، اختلط مع أوساط المهاجرين في جنيف**" (سليم بتقة، 2024، ايزابيل، دار علي بن زيد، ط1، ص151/150).وهو مقطع سيري يعبر عن طريقة عيشها التحررية التي جعلت نظرتها للعالم تكون نظرة مختلفة، فتقول: «**أنا لست جميلة ولا يمكنني الانجاب... أنا لا أساوي شيئا... دائما كانوا يقولون عني بأني أشبه امي في جمالها مثل قطرتي ماء... ينشق وجهي من الاذن إلى الأذن وانفجرت ضاحكة كانت جميلة جدا لا يمكن لأحد أن ينكر ذلك**" (الرواية ص151).

وبالتالي هنا شخصية ايزابيل امرأة مهمشة تقف أمام مرآة الامومة المفقودة وانكسار واضح على معالم كلماتها:" **عادت ايزابيل إلى المنزل بعد قضاء شهر كامل في المستشفى...كان المنزل موحشا يردد صدى خطواتها مثل قلب ينبض على إيقاع القدر الذي لا مفر منه. ذهبت إلى الحمام لتغتسل ثم عادت إلى غرفتها واستلقت على سريرها تركت الزمن يتساقط في بئر الذكريات، ونثرت دموعها على ارضيات حياتها واستعادت حتى الصور القديمة تلك التي منعت من ذاكرتها منذ زمن بعيد...اغمضت عينيها وغمرت نفسها بالكامل في حمام ذكرياتها**". الرواية ص218

لقد كانت ترتدي الملابس الرجالية وتتنكر في زي رجل، إذ كانت تتنقل بين شوارع الجزائر بحرية كأنها تعيش في عالمين مختلفين؛ مما يتطلب من امرأة حرة في جسد رجل حيث تقول: "**فاجتزت وحدي، ممتطية فرسا، كلا من تونس والشرق الجزائري والصحراء القسنطينية، كنت أزور البقاع مرتدية الزي العربي، لطواعيته في التنقل ولجمالها**" ايزابيل ايبرهارت، 1990، ياسمينة وقصص أخرى، تر: حسن دواس، مراجعة ليلى عثمان فضل، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، ط 1ص 34-35.

لم يكتف الروائي برسم معالم شخصية خيالية استعارها من المتخيل، ومن المسكوت عنه... بل أعاد تشكيل الواقع بابتداع أحداث من قبيل الخيال المحض."**لقد تقمص الروائي شخصية الكاتبة وتماهى معها إلى ابعد الحدود لصبر أغوارها ومعايشة عوالمها الداخلية والخارجية...وابتداع حياة خصبة موازية للحياة الواقعية**" ،الرواية ، التقديم، ص 07. وهو تأكيد على أنها عمل ليس سيرة محضة بل سيرة متخيلة تقوم على التهجين بين التاريخ والخلق الأدبي، وبالتالي فالكاتب يقوم بتقمص عوالمها النفسية والداخلية، ويمنحها صوتًا متخيّلاً يعيد بناء رؤيتها للعالم، متجاوزًا المعطيات التاريخية إلى التأويلات الذاتية.

ب. الفضاء الجغرافي: صحراء الجزائر بين الواقع والمتخيل:

في رواية "إيزابيل" يتأرجح المكان بين وجود واقعي مُدرك بوعي وفعل، وبين كونه فضاءً يحمل دلالات ذاتية وأزمات متعددة: أزمة الذات، والحب، والوطن، والسلطة، والمجتمع، والعادات التي تؤثر فيها، ما يجعل الشخصية في حالة فقدان للفاعلية ووقوف على هامش الضياع. تنحصر حكاية "إيزابيل" بين ثنائية المكان واللامكان، فنجد أنفسنا أمام شخصية تعيش اضطراب الوجود بين الملموس والمغيب، وبين إدراك الوجود في لحظة وعي داخل أمكنة جغرافية تماهت مع الذات وفرضت اشتغالاً مختلفاً تمليه ضرورات الحال. كما يتجلى

الاغتراب والتغييب في لاوعي الشخصية كتوازٍ مع إحساس عميق بالضياع والبحث عن معنى. وبهذه الطريقة يوظَّف المكان في الرواية، حيث تتداخل الأمكنة الواقعية مع أبعاد رمزية تمنح النص عمقاً إضافياً..

كالأغواط: "**انطلقت باتجاه الاغواط متسلحة بالبوصلة ومسترشدة بالقوافل التي تجوب الصحراء دون توقف، رغم مخاطرها وصعوبة مسالكها الرملية... على طول الطريق المؤدية إلى الاغواط... تظهر السهول**" (الرواية ص 157)، وهنا كانت الانطلاقة الفعلية في الصحراء والسرد الحكي المباشر عن واقع موجود وهي صحراء الجزائر.

بسكرة:"**في الليلة الأولى، التي قضيت جزءا منها بين الحديقة والشرفة بدت لي بسكرة دافئة بلا أنفاس... تحت سماء صافية وقد بدا القمر في غاية الروعة ثم ما لبث أن اختفى خلف سحابة عابرة** " (الرواية ص 108)، دون نسيان عين الصفراء التي أيضا كانت حاضرة مما يضفي على السرد طابعًا توثيقيًا. وهو بناء متخيل سردي موازٍ استثمر الكاتب العناصر الواقعية لبناء متخيل سردي روائي يشتبك مع الواقع، ويعيد تشكيله فنيًا. المتخيل هنا ليس فقط في الأحداث، بل في تمثل الصحراء كمجال أسطوري ووجودي، وفي تصور "إيزابيل" كرمز لتمزق الهوية والبحث عن المطلق"**ابتداع حياة خصبة موازية للحياة الواقعية، ومتجذرة في متخيل عالمي هو 'متخيل الصحراء' الذي فرض نفسه في مواجهة متخيل البحر ومتخيل الجبل.**"

في رواية إيزابيل لسليم بتقة، الصحراء ليست مجرد خلفية مكانية للأحداث، بل تظهر كعنصر محوري متعدد التمثلات:

✓ **فضاء أسطوري وجمالي** الروائي جعل من الصحراء بوتقة يذوب فيها المتخيل مع الواقعي، باعتبارها "متخيلاً" يقف نداً لمتخيل البحر والجبل. فهي فضاء يثير انبهار المستشرقين مثل فرومنتان ودينيه وجيد، ويغدو مسرحاً للغرائبية والعجائبية والرحلات وبالتالي معادل موضوعي للذات الممزقة بالنسبة لإيزابيل.

✓ **الصحراء تمثل فضاءً للبحث عن الانتماء والهوية**. امتدادها المترامي وأفقها المفتوح يعكسان تشتت أصولها (روسية، سويسرية، فرنسية)، ومحاولتها لملمة هذا التمزق في وحدة وجودية ومطلق روحي.

✓ **مكان المغامرة والاختبار** الصحراء تُصور كأرض قاسية: حرارة لا تُطاق، عطش وجوع، وصمت ممتد، لكنها في الآن نفسه تمنح بطلة الرواية خبرة الرحلة والاندماج مع القوافل وسكان البدو، حيث تتعلم أخبار مقاومة الشعانبة والطوارق للقوات الفرنسية.

✓ **فضاء إنساني واجتماعي** من خلال المشاهد الليلية في الصحراء (جلسات الشاي حول النار، الحكايات البدوية، أصوات الموسيقى الرتيبة)، نلمس تمثل الصحراء كفضاء يخلق تواصلاً إنسانياً ويُخرج الفرد من عزلته.

✓ **مكان ملتبس بين الفناء والحياة** فهي تحضر كأرض للموت (المعارك، الجثث، فيضانات عين الصفراء التي أودت بإيزابيل نفسها)، لكنها أيضاً فضاء للحلم والحرية والتوق إلى المطلق

باختصار :الصحراء في إيزابيل ليست مجرد جغرافيا، بل رمز للهوية الممزقة، ومختبر للمغامرة، وفضاء أسطوري جمالي، ومعادل وجودي للبحث عن المطلق" .**الصحراء المترامية الأطراف بمثابة معادل موضوعي للملمة العناصر المتنافرة، والوصول إلى مرفأ الأمان واعتناق المطلق الوجودي" الرواية المقدمة**

ج. **شخصيات تاريخيةبين الواقع والخيال:**

تعتبر الذاكرة لا تاريخ ينهي المسافة بين ما يروى من فعل قائم وبين ما يمكننا استحضاره كفعل آت، بين اليقين الماضي وبين ما نرتاب في أننا يمكن أن نعيشه، الوقت هو نفسه الحنين إلى أجوبة كانت ستشكل فرقا واضحا في مستقبلنا، ونفس رغبتنا الملحة في السؤال جعلت من ماضينا ذاكرة حية تستفيق كل ما أرادت ذلك، فيغدو حاضرنا ماضينا وماضينا حاضرنا ومستقبلنا لا طقس ولا تقليد لا لغة محددة ولا سكون لا يوجد إلا الجنون وأفعال الاحتمال.و الذاكرة إحدى التقنيات الحداثية التي اشتغلت على كتابة التاريخ عن طريق التجربة الفردية للذات الإبداعية للكاتب، كون الذاكرة تفعيل ذاتي للفعل الكتابي الذي أعطى المرونة المطلوبة من أجل استيعاب تلك التحولات على مستوى الفرد/ الجماعة والتنظير للمؤسسة الفاعلة للكتابة، فأعادت تشكيل بناء موازي للواقع ومناهض له برؤية جديدة تعكس صراعات الذات في محاولة منها لإيجاد نفسها حتى لو بين عالم متخيل يقلل من سطوة الواقعوهذا يعني "**استمرارها في الانفتاح ورفضها الاحتواء من قبل مؤسسة اجتماعية ما أو تكريسها في شكل فني معين**"(ميخائيل باختين، الملحمة والرواية، تر: جمال شحيد، ط1، معهد الانماء العربي القومي، د ت، بيروت لبنان، ص 66) مرتحلة في سفر دائم في التاريخ وكأنما بذلك هي ميزة عمرية تعايش اللحظات بكل تناقضاتها وتطوراتها فلا تتوقف عند نهاية لحظة عمرية بل تغير من جلدها كي يتناسب مع الواقع الجديد ولعلها النوع الوحيد الذي يبحث بشكل دائم، ويحلل ذاته أبدا، ويعيد النظر في كل الأشكال التي استقر فيها (المرجع نفسه، ص 67)ومن هنا أخذت الرواية طابعها التاريخي والواقعي من حكايات الذاكرة.

يمثل التوظيف التاريخي في رواية ايزابيل أحد مظاهر تداخل الواقع بالتخييل في العمل الإبداعي؛ حيث لا يقدم الحدث التاريخي كعنصر خارجي محايد، بل يدرج ضمن بنية السرد كعنصر هام في تشكيل المعنى وإعادة تأويل الماضي، ولقد عمل بتقة على توظيف **وقائع وأحداث حقيقية** مثل **فياضانات عين الصفراء** وشخصيات تاريخية مثل الشيخ بوعمامة والمستشرقين كفرومنتين ودينيه وألكسندر تروفيموفسكي، غير أنه تعامل معهم بطريقة السرد التقريري فأعاد تشكيلها بلغة أدبية تزاوجت بين التخيل والواقع وهو ما يسمى بالتخييل الذاتي الذي يمكن تعريفه بأنه نقطة التماس يخلقها الكاتب والتي تعطي ذلك الواقع الجديد بينه وبين ما كتبه "**حيث يتم مزج الحياة الحقيقية بالمتخيل ، فلا المسرود حقيقي كما ينبغي أن تكون الوقائع**" (فائزة داود، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، ص 120). مما يعزز البعد الواقعي مثل:

- فيضانات عين الصفراء سنة1904: **وجد نهايته على غرار المأساة اليونانية في غرقها بعين الصفراء سنة 1904 إثر فيضانات عارمة اجتاحت المدينة، وكأن هناك قدرا محتوما لا مفر منه**" الرواية ص07 " **انقسمت كتلة المياه التي كانت مهيبة للغاية، إلى تيارت متعة تندفق عبر الشوارع والازقة باحثة عن طريق للوصول إلى الوادي، لقد خلقت المياه ورائها مشهدا مروعا من المباني المنهارة والاشجار المقتلعة والعربات المكدسة لكن الاكثر ايلاما كان منظر الجثث والملابس والذكريات المبعثرة ملقاة في مزيج من كل ذلك، شاهدة صامتة على الرعب الذي حلّ بمدينة عين الصفراء تلك الليلة من شهر أكتوبر**" (الرواية، ص 09).يسجل هذا الحدث الواقعي كعلامة تاريخية فارقة تنهي فترة من الحضور الاستشرافي الفرنسي في الجنوب الجزائري، حيث تم ربط مصير البطلة "ايزابيل" بهذا الحدث الذي حول وأحدث مأساة خاصة بها:" **لقد عثروا عليها ميتة، وسط الأنقاض. . .كانت باردة مثل سكة حديد مغمورة بندى الليل... كانت عيناها مفتوحتين واسعتين مثل غصنين مورقين خضراوين، يداها مسحوبات كما لو أنهما تريدان أن تمسكا**

بشيء ما، كانت كأنها مستلقية في نومها تحلم بصحراء لا نهائية، حيث الرمال والأسماء والمهن والمناطق والقرى والمدن التي اجتازتها خطوات إيزابيل، جسدها لا يزال ممددا في هذا العالم الفسيح" (الرواية، ص10).وهو بذلك يجمع بين السرد الأدبي والتوثيق التاريخي الشعوري.

د. **شخصيات تاريخية واستعمارية:**

إن لحضور التاريخ في العمل الإبداعي أمر محتم في تأثيث الفعل السردي وفهمه كون "**فهمنا للنصوص الأدبية سواء تلك التي تنتمي للماضي أم تلك التي تنتمي للحاضر عن طريق معايشة تجربة الحياة فيها يؤدي بنا إلى فهم أفضل للماضي والحاضر معا....**" (فيصل رياض الأحمد، كتابة التاريخ روائيا، ص55).

ونقل حادثة تاريخية أو تأسيس المتن على منوالها لا يلغي بالضرورة التخييل بل يُعد هذا الأخير تقنية اشتغالية تبث في عظام السرد لكتابة التاريخ بصورة أوضح كون أن الكاتب بالأخير هو شخص مبدع والعملية/ التجربة الإبداعية هي الفيصل في الحكم عن التجربة والكتابة وليس بمؤرخ يكتب التاريخ، ومن المتعارف عليه أن اشتغال التاريخ بالرواية يكون " **إما بأحداث تاريخية أو وثائق كما في رواية الليلة السابعة بعد الألف للكاتب الجزائري واسيني الأعرج.... أو بشواهد عيان**" (رياض الآغا، 10/12/ 2009، النزعة التجريبية في الرواية الجزائرية الحديثة، مجلة القلم، العدد7، ص 88).

يتم التطرق في رواية "ايزابيل" لواقع الجزائر زمن الاستعمار الفرنسي، والتفاعل بين الشرق والغرب، والصراع الهوياتي، وهي شخصيات واقعية مسخرة في خدمة الرمزية حتى عندما يعيد الروائي استحضار شخصيات تاريخية مثل: **الشيخ بوعمامة، أندريه جيد، إتيان دينيه** ويفعل ذلك ضمن سياق رمزي وفني، لا توثيقي، فيخدم بذلك رؤية الرواية وموضوعها لا مجرد السرد التاريخي.

شواهد تاريخية	نماذج الشواهد/ التحليل	الصفحة
الشخصيات	**ايزابيل ايبرهارت**، شخصية حقيقية عاشت بين عامي 1877-1904، كانت صحفية وكاتبة مغامرة توفيت في ظروف غامضة في الجزائر، وكانت تُعتبر في بعض الأوساط مستشرقة وجاسوسة، على الرغم من أنها لم تكن تقتصر على ذلك فحسب، بل كانت تُعبر عن رغبتها في التعايش مع المجتمع الجزائري وثقافته. **العقيد ليوتي**: شخصية عسكرية	تعتبر بطلة الرواية وهي شخصية روائية تدور الاحداث حولها.

	استعمارية تجسد نموذج القائد المنضبط والحذر والمسؤول والمتميز بتفكيره العقلاني واستراتيجيته الدقيقة في التعامل مع الأوضاع الميدانية. شخصيات استعمارية فرنسية تم ذكرها في الرواية: مارسيال جان جان،ماريشال، بارنديت، الماركيز دي موريس، ليونور، الملازم أوجين، النقيب سوسبيال	ص 236 ص93-95-210-222.....
المكان	شارع بارت:وهي محاولة من الاستعمار تخليد مبادئهم على أرض محتلة. فندق الصحراء مقهى الصحراء مقهى لاغاسيار زاوية الهامل: فضاء صوفي محلي يتصف بالبساطة والطهر الروحي وهونموذج لمكان تاريخي مرتبط بالذاكرة الشعبية الزاوية القادرية	ص 28-71 ص 13 ص 74 ص 119 ص137 ص204.
الزمان	اشتغلالزمن في سردية " ايزابيل" على حقبتين يؤثث للأولى كفعل كتابي له الأثر في دفع وتيرة السرد للأحداث التي شكلت بداية سيرة " ايزابيل" اثناء الاستعمار وقبيل الاستقلال بمدة	لا يمكن تحديد صفحات الزمن بوتيرة خطية كون الزمن يتأرجح في المتن السردي، فزمن الاستقلال لا يخلو باسترجاعات لأيام الثورة بما اقتضته ضرورة الحدث، غير أنه

	ليست بالكبيرة	بالمطلق يمكن التأسيس لزمن الاستقلال في الرواية من بداية ص 17.

بالاعتماد على الجدول السابق، أوضحنا الشواهد التي فسّرت ارتباط رواية إيزابيل بالتاريخ. فلو لم تكن هناك ركائز تاريخية، لما تحقق ذلك التوازن في بنية السرد، إذ أن هذه الركائز تتيح لنا – نحن وهو – فهم المحنة والألم، وخوض تجربة البحث عن الوصول حتى لو ظلّ الوصول ناقصاً. فمعايشة اللحظة التاريخية المكتوبة تجعل الإنسان – كما يرى نصر حامد أبو زيد – يفهم ذاته من خلال التاريخ بوصفه عملية مستمرة من الفهم والتأويل (نصر حامد أبو زيد، 2001، إشكالية القراءة وآليات التأويل، ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 28 بتصرف) .كما أن سليم بتقة، من خلال سرده، يوثّق لوجود إنساني مكتمل العناصر السردية، ملتزماً بمتطلبات الحقيقة التاريخية بوصفها فعلاً وقع وتحقق في سياقه الواقعي. ولهذا كان من الطبيعي أن تتشابك الرواية مع التاريخ. غير أن هذا الارتباط لا يعني تحوّل النص إلى رواية تاريخية بالمعنى التقليدي، بل إن مفهوم "تأريخ الرواية" لا يلغي طبيعتها الإبداعية ولا حدودها الجمالية، لأنها تظل عملاً فنياً بالدرجة الأولى. وقد مهّد الكاتب لهذا التوجه في مقدمة عمله، حين أشار إلى أن من أبرز ما يميز الرواية أنها تؤرّخ أدبياً.

4. خاتمة

في ختام هذه الدراسة، يمكن القول إن الرواية تشكّل نموذجًا بارزًا للكتابة الما–ورائية(métafiction) ، إذ يقوم الكاتب بإعادة تشكيل الشخصية الواقعية التاريخية بأسلوب فني يقوم على الاستبطان النفسي والاستلهام الأدبي، متجاوزًا البعد الوثائقي إلى آفاق الخيال الإبداعي. ويتضح أن هدف الروائي لا يقتصر على "سرد حياة" بقدر ما يسعى إلى "إنتاج دلالات" تمسّ قضايا الهوية، الاغتراب، الحرية، والأنوثة، من خلال تجربة متخيَّلة متجذرة في تاريخ منسي أو مهمّش. كما أن انحراف الرواية عن الخط السردي التقليدي يجعلها تجربة ما بعد حداثية بامتياز، تنفتح على الأنثروبولوجيا، الصحافة، التاريخ، الأسطورة، أدب الرحلة والتصوف، في تداخلٍ بين الأجناس والخطابات، يُعلي من شأن المتخيل على الواقعي، أو يوظّف الواقعي بوصفه مدخلًا لإنتاج الخيال.ومن النتائج الفرعية كان ما يلي:

- تمثّلات الواقع والمتخيل في إيزابيل تتمثل في :استلهام الواقع لتوليد رؤية رمزية وفنية .تداخل الشخصي بالتاريخي .توظيف الصحراء كرمز سردي ووجودي .بناء عالم سردي متخيل يفسر واقع الهوية والانتماء والانكسار.
- تقمص الكاتب لشخصية إيزابيل التاريخية: يقوم بتقمص عوالمها النفسية والداخلية، ويمنحها صوتًا متخيّلاً يعيد بناء رؤيتها للعالم، متجاوزًا المعطيات التاريخية إلى التأويلات الذاتية.
- إعادة تشكيل السيرة: يضيف الكاتب أحداثًا، علاقات، ومواقف لم تثبت تاريخيًا، بل تستند إلى احتمالات سردية ومخيال أدبي.
- التخييل الرمزي: الصحراء هنا ليست فقط مكانًا جغرافيًا، بل تتحول إلى رمز للصفاء، والبحث عن المطلق، ومكان لاجتماع الأضداد (الضياع/الانتماء، الشرق/الغرب).

- تعدد الأصوات والمنظورات: تُقدَّم الرواية عبر شخصيات وأصوات متعددة، تُضفي بعدًا تخييليًا وتُعزز من التعدد الدلالي.

قائمة المراجع:

1. بتقةسليم ، 2024، ايزابيل، الجزائر، دار علي بن زيد، ط1.
2. الكريويادريس ، 2014، بلاغة السرد في الرواية العربية، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1.
3. ايزابيل ايبرهارت، 1990، ياسمينة وقصص أخرى، تر: حسن دواس، مراجعة ليلى عثمان فضل، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، ط 1.
4. بلعرج بوداود، 2021، الشيخ بوعمامة وايزابيل ايبرهارت، لقاء أم مصير، منشورات الوطن اليوم، سطيف- الجزائر.
5. عطية حمد محمد ،دت، الرواية السياسية، دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، دط، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت لبنان.
6. سعيد خالدة، 1984، الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج 4، ع 3.
7. عماري دليلة، 2022، روايات واسيني الأعرج التاريخ الذي ترويه المحكيات، مجلة الفنك، العدد11.
8. الآغا رياض ،2009 /10/12ا لنزعة التجريبية في الرواية الجزائرية الحديثة، مجلة القلم، العدد7.
9. سليمان حسن، 1999، مضمرات النص والخطاب، دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط.
10. سليمان حسين، 1997، الطريق إلى النص، مقالات في الرواية العربية، دط، اتحاد كتاب العرب.
11. عزيز سلامة، 2010، الخطاب الروائي والايديولوجيا، مجلة الأنبار، العدد 6،
12. عمر بيزيد كريم، 2010، الرواية والتاريخ قراءة في رواية الليلة السابعة بعد الألف واسيني الأعرج، مجلة الرياض، العدد5.
13. داوود فائزة ، 2014، على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد، ط1، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا.
14. فيصل رياض الأحمد،2009 /10/12، كتابة التاريخ روائيا، مجلة القلم، العدد7.
15. لوسيانجولدمان، 1993، مقدمات في سوسيولجية الرواية، تر: بدر الدين عرودكي، دار الحوار، سوريا.
16. سالم محمد، 2010، الحداثة وتجلياتها في الرواية العربية، مجلة الأنبار، ع6.
17. الخطيب محمد كامل، 1981، الرواية والواقع، ط1، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
18. محمد كشك، 1988، علامات التحديث في القصة المصرية القصيرة، دط،الموسوعة الصغيرة، بغداد .
19. مسعد منيب ، 2010 ، التخييل والتاريخ في أدب واسيني الأعرج، مجلة الرياض، العدد5
20. ميخائيل باختين، د ت، الملحمة والرواية، تر: جمال شحيد، ط1، معهد الانماء العربي القومي، بيروت – لبنان.
21. نصر حامد أبو زيد، 2001، إشكالية القراءة آليات التأويل، ط6، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.